فصلية النّقد و الأدب المقارن (بحوث في اللّغة العربيّة و آدابها)
كلّيّة الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة رازى – كرمانشاه
السّنة الأولى، العدد ٤، شتاء ١٣٩٠ هـ.ش، ١٤٣٣ هـ.ق، ٢٠١٢ م، صص ١٥٣– ١٧٦

مقارنة بين أبي نواس الأهوازيّ البصريّ و الرّودكـــي السّمرقنديّ في ضوء خمرياتهما المادّية*

الدّكتور تورج زينى وند
أستاذ مساعد فى قسم اللّغة العربية و آدابها، جامعة رازى- كرمانشاه

الملخّص

إنّ هذا المقال، يستعرض قطعة موجزة من تيّارات التّفاعل الثّقـــافي بـــين الأدب العـــربي و الفارسي لدى أبي نواس و الرّودكي على مستوى النقد المقارن الفرنسيّ الّذي يؤكّد على قـــضية التأثير و التأثر فى ضوء العلاقات التّاريخية.

و قد تبيّن لنا فى هذا المجال أنّ الرّودكى تأثّر فى شعره الخمري بسلفه، أبي نواس، مـــن حيـــث المضامين و الأساليب الشّعرية. إلّا أنّ الرّودكى قد ابتدع و ابتكر فيهما لابساً إيّاهما ثوباً جديـــداً فارسياً يمتاز بالسّلاسة و العذوبة و زد على ذلک؛ أنّ المنطلق الشّعري لهذين الشّاعرين إنّما هـــو الثّقافة الإيرانيّة ثمّ العربيّة؛ ذلک لأنّهما من أصل ايرانيّ و يبدو أنّ الشّعر العربيّ مع تاريخه العريق فى شعر الخمر، اقتصر دوره على الوساطة ليس أكثر.

الكلمات الدّليلية: أبونواس، الرّودكـــي، الخمرة المادّية، الشّعر العربي و الفارسي، الأدب المقارن.

---

* تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٧/٢٠ تاريخ القبول: ١٣٩٠/١١/٢٥
عنوان بريد الكاتب الإلكترونى: T_Zinivand56@yahoo.com

١. مقدّمة

إنّ التاريخ الأدبي أو قُل: التاريخ الإنساني، لم يعرف التقاء أكثر غنىً و شمولاً من التقاء العرب و الإيرانيين على مستويات عديدة و متنوّعة و هذه العلاقات الوطيدة الّتي يعود تاريخها إلى أقدم العصور، قد برزت منذ البعثة المحمّدية و استمرّت حتّى العصر الحديث فى ضوء علاقة قد بُنيت على أساس الرّحمة و التّقوى و العدل، لا العرق و الجنس و اللّون. و بما أنّ اللّغة العربية كانت لغة القرآن و الدين الجديد، فقد أقبل ابناء الفرس على تعلّمها و إتقانها كأهلها. و في إثر هذه الرّغبة، صار كثيرمنهم يتقن اللّسانين حديثاً و كتابة. و من ثمّ أخذوا ينقلون إلى اللّغة العربية جمّاً غفيراً من معارفهم القديمة المكتوبة بلغاتها الأصلية؛ في كافّة المجالات العلمية و الأدبية.

و هنا أرى لازماً على نفسي أن أختار بلاغة الإيجاز فى ذكر هذه العلاقات الوثيقة فى مجال الأدب؛ و لايخفى أنّ هي أنّ الحديث عنها بحاجة إلى دراسات كثيرة، عارفاً أنّ أنّ بعض المحققين سبقنا إلى ذكر نُتف منها. و الإيجاز في بيان تلك المشتركات هو أنّ هناک موضوعات أدبية متنوّعة ثمّ تبادلها فى الأدبين العربي و الفارسي، أوانتقلت من أحدهما إلى الآخر، ثمّ صارت موضوعاً حديثاً اتّخذت شكلاً رفيعاً على مرّ العصور فنتج عنه فنّ آخر يتّسم بلون عربيّ أو فارسيّ.

و قبل أن أدخل فى صميم البحث يلزم عليّ أن أفسّر و أعرّف مصطلح «الشعر الخمرى» في صبغته المادّية. في الواقع أنّ الغرض من الشّعر الخمري المادّيّ هو «فنّ غنائيّ وصفيّ وجدانيّ، يقوم على وصف الشاعر للخمر في لونها و صفائها و نقائها و لطافتها، و مجالسها و نُدمائها، و كؤوسها و أباريقها، و وصف ماتتركه في الجسم من خَدَرٍ، و في النّفس من نشوة و غبطة و ارتفاع فوق الحُجب الواقع» (عبد النور، ١٩٧٩ :١٧٣). أو بعبارة أخرى: «في هذا النّوع من الشّعرالغنائيّ يصف الشاعر، الخمر، وصفاً يكون في مضمار العين و الحسّ و اللّذّة، مستقصيا فيه كلّ ما يتعلّق بمنظورها و مشمولها و مذاقها و تأثيرها في الحسّ، معنياً فيه بذات الخمر و لابشيء سواها (صدقى، ١٩٥٧: ١٦٨ – ١٧٠).

و المقصود «المدرسة المادّية» – أو الاتّجاه المادّي –فى هذا النّوع من الشّعر الغنائى هو مدرسة يتجه فيها الشاعر، إتجاه «المادّة» و «الحسّ». إنّه يضرم فى نفسه نار الغريزة الجسدية إضراماً ويتهتّک فى ذكرها و مجونها، مصوّراً نشوة تلک اللّذة المادّية الّتي يحسّها بجسمه فصار

فـــى إثرها مغرقاً منغمساً، أومذكّراً لتلک اللّذة التـــى لم تخمد و لم تهدأ فـــصار الـــشاعر مـــن معاناتها، صارخاً و صاخباً، ولذلک يصفها باكياً، بل لاعناً ساخطاً.

إنّ الشّعر الخمري في القرون الأولى لكلا الأدبين، العربي و الفارسي، كان محدود الموضـــوع بحيث لا يتجاوز الوصف المادّي بما قيل فيه من اللّذة و الحسّ. إنّ «الأعشى» كان إمـــام هـــذه الصّناعة في الجاهلية، و ممّن ألّموا بوصفها؛ عدى بن زيد العبادى و عمرو بن كلثوم و طرفة بـــن العبد. و بعد الجاهلية و رغم بزوغ فجرالإسلام و تحريم الخمر تدرّجاً، اشتر بوصفها؛ ابو محجـــن الثّقفي، و يزيد بن معاوية و الوليد بن يزيد و الأخطل التّغلبي و صريع الغوانـــي.

و ما إن جاء العصر العبّاسي حتّى أخذ الشّعراء يميلون إلى وصف الخمر ميلاً، بحيث جعلـــوا القصيدة العربية وقفاً على هذا الفنّ الشّعري أو استهلّوها بتحسين شربها، بدلاً من وصف الأطلال أوالنّسيب أو التّشبيب. يحدّثنا تاريخ الشّعر العباسي بأنّ أبانواس هو الّذي أفرد فى هذا العـــصر و لعلّ في كلّ العصور، بوصف الخمرة بما أمعن في نعتها، و حتّى بلغ ما قال فيها بضعة آلاف مـــن الأبيات. المدرسة الخمرية الّتى ابتدعها شاعرنا، صارت نموذجاً مثاليا للشعراء الخمريين فى كـــلا الأدبين العربي و الفارسي (أنظر: الحاوي، بدون التاريخ: ۹، ۷۹، ۹۷، ۱۷۵).

أمّا الخمرة فكانت جزأً أساسياً من الحياة الأرستقراطية عند الفرس و لكن الشّعرالخمريّ لم يكن لديهم – رغم شيوع الخمرة — من البداية غرضاً مستقلّاً، بل قدجاء في ضمن بقية الأغراض الشّعرية في أبيات قليلة دون أي توسّع و تنوّع، حتّى تطوّرت العلاقات الثقافية بـــين العـــرب و الفرس فأخذ الشّعراء الفرس هذا الغرض الشّعري من العرب فوصفوها خاصّة فى تلک المراحل إلى نهاية القرن الخامس وصفاً مادّياً و هم يقلّدون الشّعراء العرب مثل الأعشى و الأخطل و أبي نواس.

أبرز الشّعراء الفرس فى هذا الغرض الشّعري؛ الرّودكي السمرقندي (أواسط القرن الثالث – ۳۱۹ ه) الّذي يعدّ مؤسس الشّعر الخمري المادّي و رائدها في الشّعر الفارسي، ثمّ الذي بلغ مقام أبي نواس في الشّعرالفارسي هوأبوالنّجم أحمد بن قوص بن أحمد المنوچهري الدّامغاني (أواخرالقرن الرّابع أو أوائل القرن الخامس — ۴۳۲ ه) صاحب الخمريات الرّائعة والمتنوّعة (أنظر: رســـتگار فسايى ۱۳۷۳: ۲۸۱).

نحن فى هذه المقالة — الّتي تعدّ في حقل الأدب المقارن — بصدد أن نبحث عن أساليب الشّعر الخمري لدى زعيمه في الشّعر العربي (ابى نواس) ورائده الأوّل في الشّعر الفارســـي (الرّودكـــي

السمرقندي) متأمّلين فى مضامينهما الشّعرية المتشابهة و المتباينة، متبينين عن مكانتهما في هـــذا الشّعر. و فى البدء و لكـــى نفصّل في الأمر، لابدّ أن نعرف أسباب نزعتهما الخمرية.

فأما منهجنا فى البحث فيلخّص فيما يلي:

أوّلاً: أنّه يقوم على المقارنة بين الشّاعرين في اطار الشّعر الخمري المادي كالموضوع المحدّد الذي يمكن الاستقصاء و التعمق و الوصول الى النتائج الجديدة و المثمرة.

ثانيا: أنّ الباحث يرتكز على دراسة الموضوع في ضوء المدرسة الفرنسية للأدب المقارن؛ فهذه المدرسة تدرس الموضوعات الأدبية في ضوء العلاقات التاريخية تأكيداً على جوانب التأثير أو التأثر.

و أمّا السّؤال الأساسي الّذي يبحث عنه المقال فهو:

هل «الرّودكي» تأثّر في شعره الخمري «بأبي نواس» و نزعته الماديّة؟

و الفرض الرئيسى الّذى يثبته المقال هو:

أنّ «الرّودكي» تأثّر بأبي نواس و شعر الخمري دون أن ننكر مسألة «التّجـــارب الـــشّعرية المشتركة» و قضية «التوارد الذّهني» بينهما.

و لايفوتنا أن نشير الى أنّ الباحث وقف في مجال الموضوع على بعض الدرسات منها: (غنيمى هلال، بدون تأريخ: ١٧٥/ ندا، ١٩٩١: ١٣٢/ نجاريان و كهدويى، ١٣٩٠: ٢٥٩-٢٨٠)

و الفرق الأساسي بين هذه الدراسة و تلك البحوث هو أنّني استعرضت الموضـــوع بـــصورة شاملة فى ظلّ النقد الأدبي الحديث.

٢. عرض الموضوع

٢-١. بواعث نزعتهما الخمرية

٢-١-١. العوامل النّفسانية

إن الصّلة بين الأدب و النفس لاتحتاج إلى اثبات؛ النفس تصنع الأدب، ولذلک يصنع الأدب النفس، النفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس و النفس التي تتلقي الحياة لتصنع الأدب هي النفس التي تتلقى الأدب لتصنع الحياة. في الواقع أنهما دائرتان لايفترق طرفاهما إلّا لكـــى يلتقيا، و هما حين يلتقيان، يضعان حول الحياة إطاراً فيصنعان لها بذلک معنىً. إذن نستنتج أنّ الأدب يستمدّ من النفس كما أنّ النفس تستمدّ من الأدب، و العلاقة بينهما علاقه تبادل من التأثير و التّأثّر (اسماعيل، ١٩٨٨ :١٣)

۲-۱-۱-۱. ابونواس الأهوازي البصري

أوّلاً: أنّ الخطيئة الأولى فى شخصّية ابى نواس، كانت خطيئة التّربية و النشاءة إذ لم يشعر بجوّ البيت و صرامة الوالد، كما أنّ والدته أهملته و جعلته يستطلع الحياة و يتدرّب على العيش فيها بأسلوبه الخاصّ، فانحرف في صباه و انحرفت حياته جميعاً (الحاوى، بدون التاريخ:۲۱۱).

ثانيا: أنّ حبّه للجارية «جنان» تمثّل عقدة مزدوجة في نفسه فهذه الجارية تعذّبه بصدودها و ربّما احتقارها، و لو قدّر لأبـــى نواس أن يحظى بحبّ جنان، لأنطفأت جذوته، و لغدا أمره فى الحبّ كأمور النّاس جميعاً. هكذا يقول شاعرنا فى وصف جنان؛

شَـــهِدتْ جَلْـــوَةَ العَرُوْسِ جِنَانُ فَاســـْتَمَالَتْ بِحُســـْنِهَا النّظَـــــارُهْ
حَسَـــبُوهَا العَرُوسَ حِين رَأوْهَـــا فَإِلَيهـــا دُونَ العَـــــرُوسِ الإشَـــارَهْ
قَالَ أَهلُ العَرُوسِ، حِين رَأَوهَا مَا دَهَانَـــا بِهَـــا سِـــوَى عَمّـــارَه (الخفيف)

(ابونواس (الغزليات)، ۱۹۸۶: ۱۲۷)

ولكن العاطفة الجنسية أو «العقدة النّرجسية » بقيت لديها متأجّجة فتحوّل بها عن المرأة إلى الرّجل بحيث مُلأ ديوانه بالغزليات الغلمانية مكشفاً فيها عن ولعه بالتّهتّك و المجون، مسرفاً لها في حياته أيّما إسراف، منادماً مع الخلفاء، متأثّراً بائمّة الخلاعة و المجون كأمثال والبة بن الحُباب و مطيع بن إياس و حسين بن الضحّاک و حمّاد عجرد (العقاد، ۱۹۶۸: ۳۳).

و هنا نعرض نموذجاً و هو يتغزّلُ بساقيه الفتى القبطي المصري يصفه بأنّه بديع الخلـــق، لطيـــف الخصر كالفرس الرّبيط؛

بَدِيع الخَلـــــقِ مَوفُورِ الخُطُـــــوطِ لَطِيف الخَصرِ كَالفَرَسِ الرَّبيط (الوافر)

(ابونواس (الغزليات)، ۱۹۸۶: ۳۰۹)

ثالثاً: كان ابونواس، حسن الوجه، رقيق اللّون، أبيض، حلوالشمائل، و كان في رأسه سماحـــة و تسفيط حيث كان يسدله على وجهه و قفاه، و كان ألثغ يجعل الرّاء غيناً، نحيفاً، في حلقه بُحَّةٌ لا تفارقه، و طالما كان يتغنّى بها، و يعبّرعن ملاحته (ابن منظور، ۱۹۲۷: ۶).

و قد جاوزالشباب في هذين البيتين:

تُتيه عَلَينا إنْ رُزِقتَ مَلَاحةً فَمَهلاً عَلَينا بَعضَ تِيهکَ يابَدْرُ

فَقَد طَالَما كُنَّا مَلَاحاً وَ رُبَّمَا صَدَدنَا وَ تُهنَا ثُمَّ غَيَّرنَا الدَّهْرُ (الطويل)

(ابونواس (الخمريات) ١٩٨٦: ١٠٧)

و هذه صورة لفتىً فيه مظاهر البياض و الرّقة و النّعومة و الملاحة و الشّعر المتهدّل، و هي أشبه ماتكون بملامح الفتى نرجس الّذي حنا على الجدول فاستحال نرجسته، و اتّخذه الأسطوريون اليونان، نموذجاً للجمال المفتون بمحاسنه (العقاد، ١٩٦٨: ١٦، ٧٨، ٧٩).

رابعاً: هويعانـي من جهله لسرّ نفسه و سرّ الكون، فهولاينفک يشكّک في ذكر الدين و القيامة و الأوامر و النّواهي و ما أشبه، مصوّراً تنازع الإنسان مع اليقين:

أَحلِي وَ أجمَلِ مِن تَنَظُّرِ آجِلٍ عِلمِي بِهِ ضَرْبٌ مِنَ الأَسوَارِ

مَاجَاءَنَا« أَحَدٌ يخبّرُ أَنَّهُ فِي جَنَّةٍ مَن مَاتَ أَمْ فِي نَارِ» (البسيط)

(ابونواس (الخمريات)، ١٩٨٦: ١٢٧).

تلک كانت البواعث الجوهرية النّفسية التي أثرت في نفسية أبـي نواس فجعلته مرّة يشرب الخمر و يتعبّدها و مرّة جعلته رجل البؤس و الحرمان لاجئاً إليها لعلّه ينسى همومه. فلأجل هـذا تعدّ خمرياته مرآة صادقة تنعكس عليها نفسية الشاعر الماجنة.

٢-١-١-٢. الرّودكي السمرقندى

أوّلاً: أنّه سُمّي بـ«شاعر روشن بين» يعنى «الشاعر البصير». و هذا يدلّ على أنّه يعانـي من ذلک الواقع الأليم الذى يعانـي منه «الأعشى». يشير ناصر خسرو قبادياني البلخـي (٣٩٤-٤٨١ هـ. ق) إلى هذا النقص لدى شاعرنا، حيث يقول:

اشعار زهد و پند بسـی گفتسـت آن تيره چشم شاعر روشن بين (المضارع)

(رودكي سمرقندى، ١٣٣٦: ٣٩٣)

إذن ليس بعجيب أن يعاقرها هرباً من هذا الواقع الأليم كما قيل في الأعشى الجاهلي و إن لم يكن مكفوف البصر منذ ولادته (أنظر: رودكي سمرقندي، ١٣٣٦: ٤٠٥).

ثانيا: شعره يبيّن قلق الأنسان الّذي تحيّر بين حقائق المصير و التّصرّف، يتأمّلها و يحدّق فيهما لكنّه لا ينفذ منها إلى يقين دائم، فيتردّى في المجون و العبث و يطلب كأساً الّتي ليست كأس خمـرة و إنّما هي كأس سلوة:

باد و ابر است این جهان، افسوس باده پیش آر، هر چه شد بادا باد (الخفیف)

(نفسه: ۱۰۷/۴۹۵)

ثالثاً: أنّ شاعرنا قد بلغ في نفسيته – مثل أبي نواس – إلى أنّ الخمر تهبّ الإنسان الشّرف و الكرم و كذلک النّجيب يشترى من غاليها:

مَی آرد شرف مرد، می پدید آزاده نژاد از درم خرید (المضارع)

(نفسه: ۴۹۹/ ۲۲۱)

و يبدوأنّ الشّاعر يترجم هذا البيت من أبي نواس حيث قال:

فَإنَّ الكَرمَ مِن كَرَمٍ وَجُودٍ وَ مَاءُ الكَرْمِ لِلرَّجُلِ الكَرِيم (الوافر)

(ابونواس (الخمريات)، ۱۹۸۶: ۳۴۵)

رابعاً: يبدو أنّ الخمرة كانت مادّة لهو و عبثه يعلّها للتسلية خاصّة حين يقول «إنّ الخمرة المشعشعة و التّذاور و الإمرأة الحسناء، رغم ندورها مازالت حاصلة علـــیّ متى ما أردتها»:

نبیذ روشن و دیدار خواب و روی لطیف اگر گران بد، زی من همیشه ارزان بود (المجتث)

(رودکی سمرقندی، ۱۳۳۶،(الباب الأوّل): ۴۹۹/۲۰۵)

۲-۱-۲. البواعث الاجتماعية و الثّقافيه و الدّينية و السّياسّية

الحضارة و الرّخاء ممّا يؤثّر في الذّوق و يزيد في الصّور و المناظر و ينوّع في معانى الآداب و أغراضه، و أثر الثقافة و العلم يكون في ترقية العقل و تقوية الشعور و تنمية التصورّ كما أنّ للدين و ما يتّصل به من أخلاق و معتقدات، تأثيراً كبيراً في الآداب؛ فإنّه يخلق موضوعات جديدة و يؤثّر في الأخلاق و العواطف تأثيراً يتردّد صداه فى مناحي الأدب، و للنظام السياسي أيضاً أثر بالغ في خلق فنون من الأدب أو إزدهار بعض ألوانه أوانحطاط بعضها (خفاجى، ۱۹۸۲: ۱۱).

النواسيّ فارسي الأصل، لكنّه عربـــّي المربع. إنه عاش في عصر وصل مجتمعه مـــن اســـتهتار بالمعاصي و إستهزاء من الدين بسبب انتشار البدع، إلى ذروة الفسق و الفجور. يتناول ابونواس في تصوير عصره بما ابتلى به عصره من خلاعة و مجون و فتک و بما عرف به من ثقافة و فنون، و ما فيه من تفاعل بين الحياة و الأدب. شعره يحمل لغة الجواري و الغلمان بتخنّثها و ظرفها؛ و لغـــة الخمّارين و المجّان و أخبارهم و معابثاتهم، كما يعدّ أصدق صورة لمجالسته مع «هارون الرّشيد» و

«الأمين» و غيرهما من الوزراء و الحكام و الأمراء الّذين عاشوا في فساد سياسي سافر (البستانى، ۱۹۸۶، ج ۲: ۹۰).

أمّا ابوعبدا... جعفربن محمد الرّودكي السمرقندي؛ فولد في قرية «بنج» من قراء رودک – من ضواحى سمرقند – و ما مرّ من حياته شيء حتّى أعجب به الأمراء و الشّعراء من فنّه و تبحّره في الموسيقا و التّغنّي بالشّعر. الأخبار و الأشعارالتـــى جُمعت فيه، تدلّ على أنّه كان كثيرالتّنقل بين بلاط الأمراء و الحكام يحضر في مجالسهم و يجلس مع الحصان و الخمّارين، بحيث ينـــشد أشـــهر خمرياته (مادرمى = أمّ الخمر) في مجلس الأمير «سعيد بن نصراحمد بن اسماعيـــل (۳۳۱- ۳۵۱ ه)بمناسبة انتصار «أبي جعفرأحمد بن خلف بن الليث » المعروف به « بانويه » علـــى الأمـــير، «ماكان بن كاكى » (صفا ۱۳۷۱، ج۱: ۳۷۲ -۳۷۵). مطلع هذه القصيدة الّتى تعتبر مـــن أمّهات الشّعر الفارسى هو:

مادرِ مَي را بكرد بايد به قربان بچه او را گرفت و كرد به زندان (المضارع)

(رودكى سمرقندى، ۱۳۳۶، (الباب الأوّل): ۵۰۶/ ۳۵۹)

فضلاً عمّا قلنا فيه، قيل أنّ شاعرنا ينتمي إلى القرامطة استناداً إلى ما قـــال معاصـــره «الـــشّهيد البلخي». هذا المذهب الذي عُدَّ في عداد الزنديق، قد بُني على تفسير محرّر من الـــدّين والعقائـــد الدّينية و ربّما له أثر في نزعته الخمرية (أنظر: نفسه، « المقدّمة »: ۱۴).

فهذه نبذة لحياة من عاش في جوّ من الفساد و الفسق و الفجور و اللّاديني، فليس ببدع أن يهرب من واقع الحياة إلى سكرها ولذائذها. ولوبقى لنا شيء كثير من أشعاره لكنّا نستطيع أن نقـــارن بينهما أكثر – كما يقول زرين كوب، ۱۳۶۲: ۱۵ – من الآن.

۲-۲. وقفة تحليلية و تطبيقية مع الموضوعات

۲-۲-۱. جوهر الخمر المادي

إذا أنعمنا النّظر فيما جاءت في ديوانيهما، يفتح لنا البحث موضوعاً مهمّاً و هو أنّ هـــذين الشاعرين يتحدّثان عن جوهر الخمر المّادي – خاصّة عند النواسيّ – مغايراً لما كان معروفاً عنـــد الآخرين. الخمرة عند أبي نواس يماثل جوهرها جوهر الضياء و هي تمتزج به فتتولّـــد الأضـــواء و الأنوار:

فَلَو مَزَجْتَ بِهَا نُوراً لَمَازَجَها حتّى تَوَلَّدَ أنوارٌ وَ أَضواءُ (البسيط)

(ابونواس (الخمريات)، ۱۹۸۶: ۱۰)

و هذا الرّودكـــي السمرقندى الذى يقارن بين جوهر الخمر و العقيق و هو يفضّل جوهرها على العقيق في وسط تعزف فيه الموسيقى، هكذا:

رودكى، چنگ برگرفت و نواخـــت بـــاده انـــداز، كو ســـرود انداخت
زان عقيق ميبى كـــه هر كه بـــديد از عقيق گـــداختـــــه نشنـــاخـــت
هر دو يک گوهرند، ليـــک بـــه طبع اين بيفسرد و آن دگـــر بگداخت
نابســـــوده، دو دست رنگين كرد ناچشيده به ترک اندر تاخت(خفيف)

(رودكـــى سمرقندى، ۱۳۳۶، (الباب الأوّل): ۴۹۳ / ۶۱ – ۶۴)

۲-۲-۲. الخمر و اللّذة

بعد الاسترسال في الحديث عن جوهر الخمر المادّي فالمقام هنا يقتضي أن نتوقّف للحديث عـــن إحدى الخصائص العامّة التي تتميّز بها هذه المدرسة (المدرسةالمادّية) و هي اللّذة المادّية.

في الحقيقة أنّ أولى خصائص الشّعر الخمري وأبرزها، هـــي مايقوم الشاعر بوصف الخمر وصفاً يكون في إطارالحسّ و اللّذة، مستقصياً فيه كلّ ما يتعلّق بمنظورها و مشمولها و مذاقها و تأثيرها في الجسم، معنياً فيه بذات الخمر لا بشيء سواها.

في هنا نستمع إلى « عبيد الخمر » و إلى من عُرف بها و عُرِفت به يعنى زعيم المدرسة المـــادّيين، ابـــى نواس، حيث يقول: «ماالجهل كلّ الجهل إلى أن يرى صاحياً و ما العيش الكريم إلّا أن يرى يلذّ و يسكر»:

فَمَـــــا الطَّيش إِلّـــا أَن تَرَانـــــى صَاحيا، وَ مَاالعَيش إِلّا أَن اَلَذّ، فَأَشكَرَا (الطويل)

(ابونواس (الخمريات)۱۹۸۶: ۱۷۵)

و يقول شاعرنا، الرّودكي السمرقندي؛ أيّها السّاقـــي ! هات الرّاح و غنّ يا مطرب ! لنحتســـى الخمرة و حان لنا وقت الطّرب و اللّهو:

ساقى ! تـــو بده باده و مطرب تو بزن رود تا مى خورم كه وقت طرب ماست (الهزج)

(رودكى سمرقندى، ۱۳۳۶، (الباب الأوّل): ۴۹۳ / ۷۲)

۲-۲-۳. الخمرة و الموت

إنّ رغبة الشّعراء المادّيين في الخمر، قد أدّتهم إلى تفاسير مختلفة عن الحياة و الموت. أمّا الأغلبية السّاحقة فيرون الحياة كلّها فرصة للذّة و التّنعّم، لابدّ للانسان أن يتنعّم بها تنعّماً؛ لأنّها تمـرّ مـرّ السحاب و الخمرة وسيلة لشفاء هذا الهمّ و نسيانه.

فترى ابونواس يوصّى خليله بأن لايحفرا قبره إلّا « بقطربل » حيث الكروم الكثيرة و المـشهورة بجودة خمورها وأن يدفن بين المعاصر و أن لايدنى من السنبل فلعلّه في رقاده يسمع أصوات الأرجل و هي تعصر الخمرة :

خَليلـيَّ بـــالله لَـــا تَحفـرا لـــى القَبـــرَ إلّا بقـطرَ بـُلِ
خلالَ المعَاصرِ بَين الكُـرومِ وَلَاتُدنيانـــى مـنَ السُّنبُـــلِ
لَعَلّـي أَسمَـعُ فِـي حُفـــرتِي إذَا عُصِرَت، ضَجَّةَ الأَرْجُـــلِ

(ابونواس(الخمريات)، ۱۹۸۶: ۲۹۳)

فيقول شاعرنا، الرّودكي السمرقندى، هو يتحدّث عن إبادة الحياة متحيراً عن الموت؛ كُلّنا نحتسي الروح و نستريح بعدها طيبيّن، لكنّک تسكن في قعر الثرى دون خليل و من مات لا يحيـى (لا يعود) مرّة أخرى:

ما همه خوش خورديم و خوش خسبيم تو در آن گـور تنـــگ تنهايـى
نه چنـــان خفتـــهای که بـــرخيزی نه چنان رفته ای که باز آيی (الخفيف)

(رودكي سمرقندي، (۱۳۷۳) (رباعيات): ۱۷۸)

۲-۲-۴. الخمرة و الهمّ

يبدو أنّ أكثر الشّعراء الخمريين يلجؤون إلى الخمر بسبب عوامل مختلفة و من جملـة هـذه العوامل و لعلّ أهمّها هي أنّهم يستخدمون الخمر للهروب من الواقعّيات السّائدة على حياتهم الفردية أو الإجتماعية، بحيث تصبح الحياة في مذهبهم ذهولاً عن همومها و شقاواتها عن طريق الانغمـاس فـى اللّذة حتّى تتخدّر أعصابهم مذهلين عن الحياة و مالها.

وإنّ من يلقـى النّظر إلى خمريات أبي نواس يلاحظ أنّ شاعرنا كثيراً ما يرى أنّ الخمره تـسلب الهموم و تعير القلب حلّة من السرور؛ إنّه يراها (الخمر) نعم وسيلة يستخدمها صـاحب الهـمّ للتفريج عن همّه:

نِعـــمَ سِـــلَاحُ الفَتَـــى المُـــدَامُ إِذَا سَاوَرَهُ الهَمُّ، أَم بِهِ جَمَحَا (المنسرح)

(ابو نواس (الخمريات)، ۱۹۸۶: ۱۰۰)

ويقول الرّودكي السمرقندي؛ لنا الخمر و النّديم و قصر كالإرم ذات العماد، بعيدين عن الهـــمّ و الحزن و إن كان هناک غمّ، فللأ عداء:

مَـــی هســـت، وارم هـــســـت، و بـــت لالـــه رخـــان هســـت

غـــم نيـــست، گـــر هســـت، نصيـــب دل اعـــداســـت (الهزج)

(رودکی سمرقندی،۱۳۳۶، (الباب الاوّل): ۷۳/۴۹۴)

۲-۲-۵. الخمرة و الدّين

كلاهما يشيران إلى الدين و ما يتعلّق بالأحكام الدّينية حول الخمرة: إنّ ابانوس رغم اطّلاعه عن تحريم الخمر، فيرى اللّذة فـــی الحرام و شرب الخمر ولا يترک مجالاً للعذول فإذا سئل عنه: هـــل الخمر حرام أم لا؟ يقول: نعم! حرام و لكن اللذاة تكمن فـــی الحرام:

- ابونواس: **وَإِن قَالُوا: حَرَامٌ ؟ قُل: حَرَامٌ وَلكنَّ اللّذَاذَةَ فِي الحَرَامِ** (الوافر)

(ابو نواس (الخمريات)، ۱۹۸۶: ۳۶۷)

و هذا هو الرودكـــي يفرح لذِهاب شعر الصّيام و اقبال العيد الّذى يجد فيه ما يطلب: الرّودكی:

شد روزه و تسبيح و تراويح به يک جای عيد آمد و آمد مي و معشوق وملاهی (الهزج)

(رودکی سمرقندی، ۱۳۳۶، (الباب الاول):۵۱۳/ ۵۵۸)

۲-۲-۶. الخمرة واللّوم

فهذه المسألة صارت الموضوع الغالب فـــی جميع قصائد هما خاصّة فـــی شعر أبي نواس: يقـــول ابونواس و هو يخاطب النظّام المعتزلی الّذى لامه على شرب الخمرة: إنّ إدمان الخمر و ما تهيجـــه فـــی النفس من الرّغبة الملحة فـــی شربها هو نفسه داء يتداوى منه بالشرب فمهمـــا ازاد لومـــه ازدادت رغبته إلى احتساء الخمر:

دَع عَنکَ لَومِی، فإنَّ اللَّومَ إِغرَاءُ وَدَاوِنِي بِالَّتـــی كَانَت هِيَ الدَّاءُ (البسيط)

(ابو نواس (الخمريات)، ۱۹۸۶: ۹)

و نرى الرودكـــي يقول عن هؤلاء العذّال الّذين يسمّونه بالمجنون وقلة الأدب ثمّ يردّ عليهم بأنّه ليس من المجانين بل هو من السكارى:

ديوانگان بيهشمان خوانند ديوانگان نى ايم، كه مستانيم (المضارع)

(الرودكى سمرقندى، ١٣٣٦، (الباب الاوّل):٥٠٥ /٣٥٤)

٢-٢-٧. الخمرة و تأثيرها

كلاهما يصفان تأثير الخمرة كما تشاهدها العين و تتلمّسها سائر الحواسّ؛ يقول ابونواس: فهـــذه الخمرة أينما حلّت يحلّ السّرور و تطرد الأحزان و لو أنّها وضعت على حجر لرأيته يهتز انشراحاً:

صَفراءُ، لَاتَنزِلُ الأَحزَانُ سَاحَتَها لَو مَسَّهَا حَجَرٌ، مَسَّتهُ سَرَّاءُ (البسيط)

(ابونواس (الخمريات)، ١٩٨٦: ٩)

و يقول الرّودكـــى: لورای ملک شيئاً مثل ما رأى شاعرنا فـــى المجلس من السماع و الخمـــرة الوردية والساقية الجميلة، لسقطت اضطراباً واشتياقا، فـــى البئر:

سماع و بادة گلگون و لعبتان چو ماه اگر فرشته بيند در افتد در چاه (المجتث)

(رودكـــى سمرقندي، ١٣٣٦، (الباب الأوّل): ٥١٠ / ٤٨١)

و يرى نفسه حين يشربها فرحاً واميراً، بل متفوّقاً عن الأمير:

بسا كه مست در اين خانه بودم و شادان چنانک جاه من افزون بدازامير ملوک (المجتث)

(نفسه: ٥٠٤ / ٣٢٧)

٢-٢-٨. وصف شعاع الخمرة

وصف شعاع الخمرة كان امراً متداولاً من الجاهلية إلى اليوم؛ يقول ابونواس: إنّها خمرة صـــافية تنسب إلى الحيرة و هـــي مثل شعاع الشمس تبرق مشعة فـــى الكأس كالنّار المتوقّدة:

حِيرِية، كُشُعاعِ الشَّمْسِ، صَافِية يُحيطُ بِالكَأسِ مِن لألاَئِهَا شُعَلُ (البسيط)

(ابونواس (الخمريات)، ١٩٨٦: ٣٠٦)

و هذا هو الرّودكـــي يقول: هاتنـــى تلک الخمرة الّتي تظنّها كالياقوت الخالص أو تصوّرها كشعاع الشّمس الوهّاج:

بيارآن می که پنداری روان یاقوت نابستی

و یا چون برکشیده تیغ پیش آفتابستی (الهزج)

(رودکی سمرقندی، ۱۳۳۶، (الباب الاوّل): ۵۰۳ /۵۱۱)

۲-۲-۹. وصف ریح الخمرة

إنّ وصف الطيب الريح من الخمرة الّتي تؤدّی إلى النشاط و السّرور، يعدّ موضوعاً مشتركاً في شعر النّواسي و الرّودكی؛ يقول شاعرنا، ابونواس: لا تأبه و لا تحفل بأیّ لاح أو لائم لشربک خمرة مبرّدة بريح الشمال:

لَا تَحْفِلَنَّ بِقَولِ الزَّاجِرِ اللَّاحِي واشرَبْ عَلَى الوَرْدِ مِنْ مَشْمُولَةِ الرَّاحِ (البسيط)

(ابونواس (الخمريات)، ۱۹۸۶: ۱۵۴)

و كذلک الرودكي يقول:لوشمت هذه الخمرة لتفوح منها رائحة الورد الأحمر و المسک و العنبر بحيث تظنّ أن الوردة الحمراء قد أعطت هذه الميزات كلّها إليها:

ورش ببویی، گمان بری که گل سرخ بوی بوداد و مشک و عنبر با بان (المضارع)

(رودکی سمرقندی، ۱۳۳۶، (الباب الاول): ۳۳۷ /۵۰۶)

۲-۳. خصائص أساليبهما الشّعرية

۲-۳-۱. التقليد و التجديد

إن أبانواس يحتذي و يجاري في أسلوبه نهج الأعشى و الأخطل و مسلم بن الوليد و الآخرين من الشّعراء العرب، كما أنّ الرّودكي – من الأحيان – يحتذی حذوهم من حيث المضامين و الأساليب لكنّهما (ابونواس و الرودكی) ألبسا عليهما (المضون و الأسلوب) ثوباً جديداً يمتاز بالإبداع و الإبتكار بحيث يطلق على شعرهم؛ أسلوب أبي نواس و أسلوب الرّودكي.

امّا من حيث التجديد فإنّ شاعرنا، أبانواس، لايستهلّ قصائده الخمرية – مثل الأعشى و الأخطل و مسلم بن وليد – بالوقوف على الأطلال و الدّمن و لايبكي لمنزلة «كانت تحلّ بها هند و أسماء » بل يختصّ قصائد مستقلة بالخمر و يبكی «لتلک» (الخمرة) و يری «قبحاً» أن «تبنی الخيام لها » و «و أن تروح عليها الإبل و الشاء». إنه في هذا المجال يعدّ زعيم الشّعراء الخمريين في الأدب العربی بحيث عرفت الخمرة به كما عرف بها.

أمّا الرّودكي السمرقندي فمقامه في التجديد الشّعري كمقام أبي نواس؛ لأنّنا لانجد شاعراً فارسياً قد وصف الخمرة قبله نحو هذه الرّقة و السّلاسة. إنّه يمزج بين الخمر و المديح و الغزل والحكمة، لكنّه من الأحيان يصف الخمرة وصفاً مستقلّاً تميّز بالعذوبة و الرّقة، خاصّة حين يشخّص و يكثر من «الصّنعة الوجدانية» الّتي لايحسّ القارىء أنّها صنعة؛ و تتصاعد من ألفاظه و قوافيه موسيقى ساحرة تمتدّ تموّجاتها في النّفس، و هو يضارع في موسيقاه، الأعشى، صنّاجة العرب.

و يكفينا أن نعلم؛ أنه لويعدّ ابونواس زعيم الشّعراء المتجدّدين في العصر العباسي، فإنّ الرّودكي يعدّ زعيم الشّعر الفارسي و رائده على الإطلاق.

٢-٣-٢. المبالغة في أوصاف الخمر

من ينعم النّظر في شعر أبي نواس و الرّودكي يرى أنّ كلا الشاعرين – خاصّة أبي نواس – ينظران إلى الخمرة نظرة الحبّ و العبادة و التّقديس؛ إذن ليس بعجيب أن نراهما مبالغين في أوصاف الخمر. فهذا هو ابونواس الذي يبالغ في وصف الخمرة و مخاطباً الخمّار قائلاً؛ أوضح لي كيف جئت هنا في هذا اللّيل المظلم ؟ فقلت له: ترفّق بي فانّني رأيت الصّبح يطلع من دياركم. فأجاب: صبح ؟! وما الصّبح الّذي تتحدّث عنه سوى صبح ضوء الخمرة ثمّ قام فسدّ فمّ العقار فاختفى الضّوء، وعاد الليل يرخى سدوله:

فَكَانَ جَوابُـهُ أَنْ قَـالَ: صُبْـحٌ! وَلَا صُبْـحُ سِـوَى ضُـوءُ العُقَـارِ

وَ قَـامَ إِلَـى العُقَارِ فَسَدَّ فَـاهَـا فَعَـادَ اللَّيْـلُ مُسوَدَّ الإزَارِ(الوافر)

(أبونواس (الخمريات) ١٩٨٦: ١٧)

و يقول الرّودكي السمرقندي؛ لوسقطت قطرة من تلك الخمرة في نهر «نيل» لسكرت جميع حيطانها و لو شرب الغزال منها قطرة واحدة لصارت أسداً لاتخاف من النّمر:

زآن مَي‌كه‌گرسرشكى از آن درچكدبه‌نيل صد سال مست باشد از بُوى او نهنگ

آهو به‌دشت گر بخورد قطره‌اى از او غرّنده شير گردد و نديشد از پلنگ (المضارع)

(رودكى سمرقندى، ١٣٣٦، (الباب الأوّل): ٢٣١/٥٠٤)

۴-۳) استخدام الأسلوب القصصي

و من الأساليب المشتركة في شعرهما هي أنّهما يعتمدان على «الأسلوب القصصي» في إعـــراض وصف الخمر مذكرّين تفاصيلها بأدقّ شكل، مراعين فيها «الوحـــدة العـــضوية و الموضـــوعية» كعنصرين أساسيين هامّين.

و هنا نعرض لقصيدة خمرية من أشعار أبي نواس في هذا الباب، و نذكر هذه القصيدة الّتى لها أثر كبير في شعر الرّودكي السمرقندي و المنوچهري الدّامغاني تاكيداً على أنّ ابانواس قد نقل مضمون هذه القصيدة من الثقافة الفارسية إلى الشّعر العربـــيّ:

يا خاطبَ القَهْوَة الصَهْباء يَمْهُرُهَا ... بالرَطْلِ يَأْخُذُ منْها ملأْهُ ذَهَبا
قَصَّرتَ بالراحِ فَاحذَرْ أَنْ تُسَمِّعَها ... فَيَحلفَ الكَرمُ أَن لا يَحْملَ العنَبا
إنّي بَذَلتُ لَها لَمّا بَصُرتُ بها ... صاعاً منَ الدُرِّ وَ الياقوت ما ثُقبا
فَاستَوحَشَتْ وَبَكَتْ فيالدَنّ قائلَةً ... يا أُمُّ وَيحَك أَخْشَى النارَ وَ اللَهَبا
فَقُلتُ لا تَحذَريه عنـــدَنا أَبَداً ... قالَت:وَلاالشّمسَ قُلتُالخَرُّقَدذَهَبا
قالَت فَمَنْ خاطِبي هَذا فَقُلتُ أَنا ... قالَت فَبَعلِيَ قُلتُ الماءُ إن عَذُبا
قالَت لقاحي فَقُلتُ الثَلجُ أُبرِدُهُ ... قالَت فَبَيتي فَما أَستَحسنُ الخَشَبا
قُلتُ القَنانيَّ وَ الأَقداحُ وَلَّدَها ... فرعَونُ قالَت لَقَدهَيَّجتَ لي طَرَبا
لا تُمكنَنّي منَ العربيد يَشرَبُني ... وَلا اللَئيمِ الَّذي إن شَمَّني قَطَبا
وَ لا المَجوسِ فَإنَّ النّارَ رَبَّهُمُ ... وَلا اليَهود وَ لا مَن يَعبُدُ الصُلُبا
وَ لا الأَراذلِ إلّا مَـــنْ يُوَقِّرني ... منَ السُّقاة وَ لَكنِ اسقني العرَبا
يا قَهوَةً حُرِّمَت إلّا عَلى رَجُلٍ ... أَثرى فَأَتلَفَ فيها المالَ وَ النَشَبا

(أبونواس، (الخمريات)، ۱۹۸۶: ۵۲۶)

إنّ شاعرنا هنا لايكتفى بوصف الخمرة – مثل الأعشى: أنظر: ديوانه ۱۴۱۴– بل يجسّد هـــا و يشخصّها، أو قل: يجعلها كائناً يتحرّك و يغضب و يشعر و هو يبـــذل في ســـبيلها الغـــالي و الرّخيص، و يقدّم لها التكريم و الإجلال، ثمّ يعقد هذا الحوار بينه و بينها، ثمّ تطلب منه أن يمنـــع المتهتّك و اللّئيم و المجوس و غيرهم من شربها (أنظر: نورالدين، ۲۰۰۰ :۴۴۹)

ويبدو أنّ «الرّودكي السمرقندي» – و منوچهرى الدامغاني أيضاً: (الدّامغانى ١٣٦٣ : ١٥٦ – ١٦٣) قداقتبس عن هذا الأسلوب حيث يتطرّق في قصيدته «مادر مى = أمّ الخمر» إلى وصف الخمر. إنّ هذه القصيدة الّتى تعتبرمن أمّهات الشّعر الفارسي يتحدّث الشاعر فيها عن كيفية صنع الخمرة حين يأتي الخريف و يجتنى العنب و يجعل في الخمّ لكي يبلغ مبلغ الشّرب. ألاترون كيف يجعل شاعرناً – أو قل: كيف يشخّص و يجسّد – من شجرة العنب، أمّاً قدسرق طفلها (العنب) ثمّ قبض عليه بالسّجن سبعة أشهر يحرس منها رجل قويّ حتّى يريد الطفل أن يستيقظ و هو يقلي على النّار؟ ! ثمّ بعد نضجها يفتح بابها و هي في اللّون كياقوت حمراء أوعقيق يماني، و في الطّيب كالمسک أو وردة حمراء و في الجلاء و الصّفاء كالشّمس المنيرة:

ماد مي را بكـــرد بايد به قـــربان بچه او را گرفت و كـرد به زنـــدان
بچه او را از او گـــرفت ندانـــى تاش نكويى نخسـت و زونكشى جان
جز كه نباشد حلال دور بكـــردن بچه كوچک ز شير مـادر و پستـــان
تا نخورد شيـر هفـت مه به تمـامـى از سر أردى بهشت تا بن آبان (المضارع)

(رودكي سمرقندي، ١٣٣٦، (الباب الأوّل): ٣٥٩/٥٠٦-٣٦٢)

بادىء ذى بدء، يبدو أنّ شاعرنا، الرّودكى، قد تقلّد هذا الأسلوب القصصي عن الشّعر العربي عامّة و شعرابى نواس خاصّة. لكنّنى فى هنا اتّفق مع «آذرتاش آذرنوش» فيما ذهب إلى خلاف ذلک و يعتقد إلى أنّ اختلاط دم ابى نواس بالدم الفارسي فى مثل هذا القصائد الّتي يقصّ فيها شاعرنا كيفية صنع الخمرة (أنظر: آذرنوش، ١٣٧٣، ج٥: ٣٣/نفسه، ١٣٨٥، ج٦: ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٧). والدليل على ذلک هو:

١. أنّ هذا الأسلوب القصصي الّذي يحفل بألوان الحضارة والثقافة، يدلّ على معالم الحضارة الايرانية و مشاركة الثقافة الايرانية فى بناء الحضارة العربية- العبّاسية فى اشكالها المختلفة والمتنوعة.

٢. إنّنى لم أقف على شاعر عربى منذ الجاهلية إلى بداية العصر العباسي، يتخيّل قصّة شعرية فى كيفية صنع الخمرة مثل إبى نواس و أظنّ- و هذا الظنّ أقرب إلى اليقين- أنّه قد

ورثه عن الثقافة الفارسية الّتـــى لهادور عظيم فـــى بناء الحضارة الإسلامية ثمّ نقلها إلى الـــشّعر العربىّ.

۳. استعمال هذا الأسلوب فـــى شعر «ابـــى الشّيص» الذّى كان معاصراً و صـــديقاً لإبـــــى نواس تعزّز رأينا السّابق، فـــى تقليد الشّعراء العرب عن الثقافة الفارسية و هذا هو يقول على نهج «ابى نواس» فـــى قصيدته «أشاقک واللّيل...»:

أَشَاقَکَ وَاللَّيل مُلْقـــى الْجِران ... غُرابٌ ينوحُ عَلَى غُصْنِ بَان
وَ عَذْرَاءُ لَمْ تَفْتَرِعْهَا السُّقَاةُ ... وَلَا اسْتَامَهَا الشَّرْبُ فِـــى بَيت حَان
وَ لَا احْتَلَبَتْ دَرَّهَا أَرْجُلٌ ... وَلَا وَسَمَتْهَا بِنَارٍ يدان
وَ لكـــنْ غَذَتْهَا بِأَلْبَانِهَا ... ضُرُوعٌ يحفُّ بِهَا جَدْوَلَان
إِلَى إِنْ تَحَـــوَّلَ عَنْهَا الصِّبَا ... وَ أَهْدَى الْفِطَامَ لَهَا الْمُرْضَعَـــان
فَلَمْ تَزِلِ الشَّمْـــسُ مَشْغُولَةً ... بِصِبْغَتِهَا فِـــى بُطون الدِّنَان
تُرَشِّحُهَا لِلثَـــامِ الرِّجَالُ ... إِلَى أَنْ تَصَدَّى لُهَا السَّاقِيَان
فَفَضَّا الخَواتِيـــم عَنْ جَوْنَةٌ ... صُدُوفٍ عَنِ الفَحْلِ بِكْرٍ عَوَان
عَجُوزٍ غَذَا المِسْـــکُ أَصْدَاغِهَا ... مُضَمَّخةالْجِلْدِ بِالزَّعْفَرَان[1] (الطويل)

(ابن المعتز، ۱۴۱۹: ۱۰۳-۱۰۴)

إذن لسنا مبالغين إذا قلنا؛ إنّ هذا الأسلوب القصصـــي كان موجوداً فـــى الثقافةالفارسية قبـــل استعماله فـــى شعر ابـــى نواس، لكنّه أحياه و نقله من الفارسية إلى العربية و استعمله الأخرون مثل الرّودکـــى السّمرقندي أو منوچهرى الدّامغانـــى كموضوع شعرى فارســـىّ، رُدّ إليهما.

۲-۳-۴. استعمال صور الخيال

و بما أنّ كلا الشاعرين ينتمي إلى المدرسة المادّية، فنراهما يحرصان على استعمال صور الخيال فـــى الشّعر الخمرى، خاصّة فيما يتعلّق بالتشابيه الحسية و ولعلّنا لا نُبعد إذا قلنا إنّ هذه التشابيه الحسّية تدل على أنّهما كانا مشغوفين و مدمنين بالخمرة، فصارا فـــى إثرها منغمسين، بحيث لا يبحثان عن الوجود إلّا عن طريق الحواسّ و المادّة كما تدلّ على حذقهما الأدبـــي فـــى المـــشابهة بـــين الحالات والأشياء يقول ابونواس: إنّها قهوة تفوح رائحتها كالمسک، موطنها «الأنبار» و«هيت»:

وقهْوةٍ كَالمِسْکِ مَشْمُولَةٍ ... مَنزِلُهَا «الأَنبارُ» أو«هِيت» (مجزوء البسيط)

(ابونواس (الخمريات) ۱۹۸۶: ۷۴)

يقول الرّودكي: إنّها في الكأس، تبدو صافية مثل ماء الورد، أو تراها تبدو هنيئة مثل حلو النّوم لمن أرق:

به پاکی گویی اندر جام مانند گلابستی

به خوشی گویی اندر دیده‌ی بی‌خواب، خوابستی (الهزج)

(رودكي سمرقندى، ۱۳۳۶، (الباب الأوّل): ۵۱۱/ ۵۰۴)

إنّ تأثّر الرودكي بسلفه، ابي نواس، يبدو جليّا في شعره كما أنّ معرفة الرودكي الكاملة بالأدب العربي- نظم كليلة و دمنة من النّص العربي إلى الشّعر الفارسي (آذرنوش، ۱۳۸۵: ۲۷۳)- تعزّز هذا الاعتقاد والافتراض، كذلک المساحة الزّمنية بين الشاعرين لا تنفي هذه الفرضية. فقد توفّى ابونواس سنة ۱۹۸هـ، فيما ولد الرّودكي في اواسط القرن الثالث و توفّى سنة ۳۱۹هـ. و كان ديوان ابي نواس حينها قد وصل إلى الشّعراء و لعله قد طالعه بثقافته الشّعرية الواسعة.

مع ذلک لابد من الاعتراف بأنّ بعض المضامين الشّعرية لدى الرودكي يعدّ من باب «التوارد الخاطر» و وقوعه تحت تأثير تجربة مشابة بالنسبة إلى ابي نواس في حضورهما ببلاط الأمراء والخلفاء والعيش في البلاط و القصور والرّفاه. وأضِف إلى ذلک أن الرّودكي كان شاعراً مبدعاً و مبتكراً بين أقرانه من شعراء عصره و شعره كان معروفاً لدى الفرس و العرب و الدّليل على ذلک هو مايشير إليه «الثعالبي» في نقل ابياته إلى العربية؛

این جهان را نگر به چشم خرد نه به آن چشمی کاندر او نگری

کشتی ساز از نکوکاری تا بدان کشتی از جهان گذری(الخفيف)

و هذا هو «ابوالحسن بن المؤمل» يترجم في ذلک القرن، هذين البيتين إلى العربية هكذا:

تَصَوَّرِ الدُّنْيا بِعَين الحَجَا لَا بِالَّتِي أَنْ بِهَا تَنْظُرُ

الدَّهْرُ بَحْرٌ فَاتَّخِذْ زَوْرَقاً من عَمَلِ الْخَيرِ بِهَا تَعْبُرُ(السّريع)

(آذرنوش، ۱۳۸۵: ۲۰۸؛نقلا عن: الثعالبي، يتيمة، ۹/۴- ۱۳۸)

النتيجة

۱. الملاحظ في شعر هؤلاء الخمري يجد أسباباً مشتركة لتزعتهم الخمرية منها ما يتّصل بالعوامل النفسانية و منها مايعود إلى الظروف الاجتماعية و الثقافية و السياسية.

۲. المتأمّل في أشعارهما الخمرية يرى فيها المضامين و الأساليب المشتركة و أحياناً المتباينة، بحيث يكاد أن يصل إلى هذا الاستنتاج عن تحوّل الخمر هكذا؛ من العربية إلى الفارسية.و هذا لا يعني؛ ليس للفرس دور في تطوّر هذا الشّعر، بل الثقافة الفارسية تعدّ المصدر الأساسي لنضج هذه المضامين الشّعرية.

۳. يبدو أنّ الرّودكي السمرقندي قد اقتبس عن أبي نواس بعض المعانى الخمرية و أساليبها لكنّه قد ابتدع و ابتكر فيها و ألبس عليها ثوباً جديداً فارسياً يمتاز بالبراعة و السّلاسة.

۴. إنّ أهمّ مظاهر الخمر في شعرهما هي: «مظهر الوصف» الّذي يعرّضان فيه لنقل مايشخّصان في حواسهما عن الخمرة و «مظهر الوجدانية» الّتي يعبّران فيها عن انفعالاتهما و تصرفاتهما. و الفضل في كلاهما يرجع إلى أبي نواس.

۵.خمرياتهما مرآة صافية تنعكس عليها ذاتيتهما الماجنة كما أنّها تعدّ أصدق صورة لتعريف أوضاعهما الاجتماعية و الثقافية و السياسية، بحيث نطّلع في شعرهما على مبلغ ما وصل إليه مجتمعهما من استهتار بالمعاصي و استهزاء من الدين بسبب انتشار البدع و المجنون.

۶. إنّهما يختاران من حيث الشكل لخمرياتهما بحور الموسيقا الرّاقصة المغناة كمجزوء الكامل و الوافر و البسيط و المضارع و الهزج و الخفيف و غيرها من البحور ذات النغم الموسيقى الّتي تناسب المعاني الخمرية.

۷. إنّهما يتدرّجان في «تفكيرهما» نحو الخمرة حتّى يصلان إلى «تعظيمها» و «تقديسها» و هذا لايعني؛ أنهما «مفكّران» أو «فيلسوفان» بل هما فنّانان، فوصولهما الأغلب إلى عبادة الخمر جاء عن طريق الانفعال الفنّي.

۸.كلاهما ينتميان إلى « المدرسة البرناسية »؛ لأنّهما ينظران إلى الأدب في إطار« الفنّ للفنّ » محاولين أن يجعلا الفنّ وسيلة للتعبير عن الذّات ولهذا نجد أنّ طبيعة الخمرة عندهما جاءت حافلة بالألوان و الأشكال و الصّور خاصّة حينما ينقلانها نقلاً حيّاً متحرّكاً.

الهوامش

۱- (المفردات: الجران: مقدّم عنق البعير/ البان: شجر واحدته «بانة» و هي شجرة معتدلة القوام يشبه بها القدّ لطوله/ العذاء: الفتاة البكر والمراد هنا الخمر المحفوظة في الدنّ قبل فضّ ختامه/ افترع(البكر): أزال بكارتها/ استامها: طلب أسأل تعيين ثمنها/ وسمتها: جعلت لها علامة/ الضّروع: جمع ضرع و هو مدّر اللّبن للشاة والبقر/ الدّنان: جمع الدنّ و هو راقود الخمر العظيم/ تصدّى لها: تعرّض لها/ الخواتيم: ج ختام و هو الطّين/ فضّ الختام: أزاله/ الجونة: الخابية المطلية/ الصّدوف: الكثير الأعراض أو الصدّ / الأصداغ: جمع الصّدغ و هو ما بين العين و الأذن / مضمّخة بالزعفران: مطلية والزعفران: الطّيب).

المصادر

الف. الكتب

۱. آذرنوش، آذرتاش (۱۳۸۵)؛ **چالش ميان فارسی و عربی (سده‌های نخست)**، چاپ اوّل، تهران، نشرنی.

۲. ابن المعتز، عبدالله بن المعتز المتوكّل (۱۴۱۹)؛ **طبقات الشّعراء المحدثين**، تحقيق؛ عمر فاروق الطّبّاع، الطبعة الأولى، بيروت، دارالأرقم.

۳. ----------(بدون تاريخ)؛ **طبقات الشّعراء**، تحقيق؛ عبدالستار أحمد فراج، الطبعة الرّابعة، مصر، دارالمعارف.

۴. ابن منظور، جمال الدّين محمّدبن مكرّم (۱۴۱۰)؛ **أبو نواس في تاريخه و شعره**،تحقيق؛ عمر ابونصر، بيروت، دارالجيل.

۵. ابونواس، حسن بن هانی(۱۹۸۶)؛ **ديوان ابي نواس (الخمريات و الغزليات)**، تحقيق؛ علی نجيب عطوی، الطبعة الأولى، بيروت، دار و مكتبة الهلال.

۶. اسماعيل، عزّالدين (۱۹۸۸)؛ **التفسير النّفسي للأدب**، الطبعة الرّابعة، بيروت، دارالعودة.

۷. امامی، نصرالله (۱۳۶۷)؛ **منوچهری دامغانی: ادوار زندگی و آفرينش های هنری**، چاپ اوّل، دانشگاه شهيد چمران اهواز.

۸. البستانی، بطرس (۱۹۸۶)؛ **أدباء العرب في الأعصر العبّاسية** (ج۲)، بيروت، دارنظير عبود.

۹. حاوی، ايليا (بدون تاريخ)؛ **فنّ الشّعر الخمري و تطوره عند العرب**، بيروت، دارالثقافة.

۱۰. حسين، طه (بدون تاريخ)؛ **حديث الأربعاء** (ج۲) الطبعة الحادية عشرة، مصر، دارالمعارف.

۱۱. حسين، محمد محمد (۱۹۷۲)؛ **أساليب الصناعة في شعر الخمر و الأسفار بين الأعشى و الجاهليين**، بيروت، دارالنّهضة العربية.

۱۲. حقيقت، عبدالرفيع (۱۳۸۱)؛ **شاعران بزرگ ايران از رودکی تا بهار**، چاپ اوّل، تهران، كومش.

۱۳. خفاجی، محمد عبدالمنعم (۱۹۸۵)؛ **الحياة الأدبية في العصر الجاهلي**، القاهرة، دارالمعارف.

۱۴. رودکی سمرقندی، ابوعبدالله جعفربن محمد (۱۳۳۶)؛ **محيط زندگی، احوال و اشعار ابو عبدا... جعفر بن محمد رودکی سمرقندی**،تصحيح؛ سعيد نفيسی، چاپ اوّل، كتابخانه ترقی.

۱۵. زرين كوب، عبدالحسين (۱۳۶۲)؛ **ارزش ميراث صوفيه**، چاپ سوم، تهران، اميركبير.

۱۶. زينی وند، تورج (۱۳۸۵)؛ **المدارس الخمرية في الشّعر العربي و الفارسی**، رسالة الدكتوراه، جامعة اصفهان.

۱۷. سرباز، مظفر (۱۳۷۳)؛ **رودکی**، چاپ اوّل، تهران، شركت توسعه كتابخانه های ايران.

۱۸. سمرقندی؛ (۱۳۷۳)؛ **ديوان رودکی**، تصحيح؛ جهانگير منصور، تهران، ناهيد.

۱۹. صدقی، عبدالرحمن (۱۹۵۷)؛ **ألحان ألحان: ابونواس فی حیاته اللاهیه**، مصر، دار المعارف.

۲۰. صفا، ذبیح الله (۱۳۷۱)؛ **تاریخ ادبیات در ایران**، چاپ پانزدهم، تهران، فردوس.

۲۱. ضیف، شوقی (بدون تاریخ)؛ **تاريخ الأدب العربي (العصر العبّاسي الأوّل)**، مصر، دارالمعارف.

۲۲. عبدالله الحشانی، امینه (۲۰۰۶)؛ **الدراسات النّقدية الحديثة عن ابی نواس**، طرابلس، مجلس الثقافة العام.

۲۳. العقاد، عباس محمود (۱۳۳۸)؛ **ابونواس، الحسن بن هانی**، الطبعة الأولی، بیروت، دارالکتاب العربي.

۲۴. فروزانفر، بدیع الزمان (۱۳۵۰)؛ **سخن و سخنوران**، چاپ دوم، تهران، خوارزمی.

۲۵. فروغ، عمر (۱۴۰۸)؛ **ابونواس؛ شاعر هارون الرشید و الأمین**، الطبعةالأولی، بیروت، دارالکتاب العربی.

۲۶. الکک، ویکتور (بدون تاریخ)؛ **تأثیر فرهنگ عرب در اشعار منوچهری دامغانی**، بیروت، دارالمشرق.

۲۷. مبارک، زکی (۱۹۳۶)؛ **الموازنة بين الشّعراء**، الطبعة الثانية، بيروت، المكتبة العصرية.

۲۸. المقدسي، أنيس (۱۹۸۹)؛ **أمراء الشّعر العربي في العصر العباسي**، الطبعه السابعة عشرة، بيروت، دارالعلم للملايين.

۲۹. منوچهری دامغانی، احمد بن قوص بن احمد (۱۳۶۳)؛ **دیوان منوچهری دامغانی**، تصحیح؛ محمد دبیرسیاقی، چاپ پنجم، تهران، زوار.

۳۰. ندا، طه (۱۹۹۱)؛ **الأدب المقارن**، بیروت، دار النهضة.

۳۱. نعمانی، شبلی (۱۳۲۷)؛ **شعر العجم یا تاریخ شعرا و ادبیات ایران**، ترجمه؛ محمد تقی فخرداعی گیلانی، تهران، رنگین.

۳۲. نورالدین، حسن (۲۰۰۰)؛ **موسوعة أمراء الشّعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي**، الطبعة الأولی، بیروت، رشاد برس.

۳۳. النویهی، محمد (۱۹۷۰)؛ **نفسية ابي نواس**، الطبعة الثانية، بيروت، دارالفكر.

۳۴. هداره، محمد مصطفی (۱۳۸۹)؛ **اتجاهات الشّعر العربي في القرن الثاني الهجري**، الطبعة الثانية، بيروت، دارالمعارف.

۳۵. هلال، محمد غنیمی (بدون التأریخ)؛ **دراسات و نماذج في مذاهب الشعر و نقده**، نهضة مصر.

ب. المجلات

۳۶. آذرنوش، آذرتاش (۱۳۷۳)؛ **شعر ابونواس**، دائرة المعارف بزرگ اسلامی، ج۶، چاپ اول، تهران، مرکز دائرة المعارف بزرگ اسلامی، صص۳۴۱-۳۶۸.

۳۷. ------- (۱۳۸۵)؛ **ابوالشّیص**، دائرة المعارف بزرگ اسلامی، ج۵، چاپ سوم، تهران، مرکز دائرة المعارف بزرگ اسلامی، صص۶۰۱-۶۰۴.

۳۸. جمعه، حسین (۲۰۰۵)؛ **من القواسم المشتركة بين الأدبين العربي و الفارسي**، مجلة التراث العربي، العدد (۹۷)، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.

۳۹. حجازی، أحمد عبدالمعطی (۱۹۷۷)؛ **محاولة فی قراءة ابی نواس: الزمن والخمرة**، مجلة الآداب، بيروت، السنة ۲۵، العددان، ۱/۲، يناير و فبراير، ص۱۰-۱۲، صص ۶۵-۷۰.

۴۰. الشهابی، مصطفی (۱۹۶۰)؛ **السّقاة والسّاقيات فی خمريات ابی نواس**، مجلة الأديب، بيروت، السنة ۱۹،صص۲۷-۳۰

۴۱. فاتحی نژاد، عنایت ا... (۱۳۷۳)؛ **زندگی و آراء ابونواس**، دائرة المعارف بزرگ اسلامی، ج۶، چاپ اول، تهران، مرکز دائرة المعارف بزرگ اسلامی، صص ۳۵۱-۳۶۸.

۴۲. گنابادی، محمد پروین (۱۳۵۶)؛ **میگساری و گل در ایران باستان**، مجله باستان، گزینه مقاله، تهران، صص ۱۴۹ – ۱۵۴.

۴۳. لسان، حسین (۱۳۵۳)؛ **باده افشانی در شعر فارسی و منشأ آن**، چهارمین کنگره تحقیقات ایرانی شماره ۱، صص ۱۵۵-۱۷۰.

۴۴. --------- (۱۳۵۵)؛ **شراب زرین برگور یاران در ادب عربی**، مجله دانشکده ادبیات و علوم انسانی، دانشگاه تهران، شماره ۱، صص ۱۳۱ – ۱۳۶.

۴۵. --------- (۱۳۵۵)؛ **شعر و شراب**، مجله یغما، سال (۲۹)، شماره اول، (۳۳۳): صص ۴۴ – ۵۳.

۴۶. نجاریان، محمد رضا و محمد کاظم کهدویی (۱۳۹۰)؛ نگاه شاعرانه رودکی و ابونواس به خمریات، نشریه ادبیّات تطبیقی، دانشگاه شهید باهنر کرمان، سال دوم، دوره‌ی جدید، شماره چهارم، صص ۲۵۹-۲۸۰.

۴۷. هانیه، بیتر (۱۹۹۶)؛ **الخمر و الموت، تأمّلات في إحدى موضوعات الشّعر العربي**، ترجمة؛ محمد فؤاد نعناع، مجلة الموقف الأدبي، العدد(۳۰۲)، **دمشق**، اتّحاد الكتاب العرب.

فصلنامه نقد و ادبیات تطبیقی (پژوهش‌های زبان و ادبیات عربی)
دانشکده‌ی ادبیّات و علوم انسانی – دانشگاه رازی کرمانشاه
سال اوّل، شماره‌ی ٤، زمستان ۱۳۹۰ هـ‌ش/ ١٤٣٣ هـ‌ق/ ۲۰۱۲ م

بررسی تطبیقی باده سرایی مادّی در شعر ابونواس و رودکی*

دکتر تورج زینی وند

استادیار گروه زبان و ادبیّات عربی، دانشگاه رازی- کرمانشاه

چکیده

این پژوهش، براساس مکتب فرانسوی ادبیّات تطبیقی که بر پیوند تاریخی و جریان تأثیر و تأثّر تأکید دارد، به بررسی و تحلیل تطبیقی بخش اندکی از پیوندهای فرهنگ عربی و فارسی با مطالعه موردی شعر ابونواس و رودکی می‌پردازد.

یافته اساسی این مقاله نیز در این است که رودکی اگر چه در مضمون‌های باده سرایی، متأثّر از ابونواس است اما در این غرض شعری به نوآوری نیز پرداخته است و شعرهای وی به روانی و شیوایی ممتاز است.

افزودن بر این، خاستگاه و ریشه‌ی این غرض شعری در شعر این دو شاعر، همان فرهنگ و تمدن ایرانی است؛ چرا که تبار هر دو ایرانی است. و به نظر می‌رسد شعر عربی با وجود پیشینه‌ی کهنی که در این مضمون دارد، بیشتر نقش واسطه و تکاملی را ایفا نموده است.

واژگان کلیدی: ابونواس، رودکی، باده سرایی مادّی، شعر عربی و فارسی، ادبیّات تطبیقی.

---

* تاریخ دریافت: ۱۳۹۰/۷/۲۰ تاریخ پذیرش: ۱۳۹۰/۱۱/۲۵

رایانامه: T_Zinivand56@yahoo.com

ترجمة الملخّصات إلى الإنجليزية